اقرأ رومية8: 1 – 17

الحياة المسيحية الطبيعية

مثل المصنع

ونحن نحاول توضيح نهاية الأصحاح السابع توضيحا تاما، دعنا نستخدم مثل مصنع، نُقلت إدارته إلى مدير جديد، فليس هناك مديران بعد، المدير القديم قد مضى، والمصنع بالكامل أصبح تحت إدارة جديدة. لقد ابتدأ عصر جديد. الآن أصبحت تسيطر على المكتب الرئيسي مبادئ مختلفة، وأصبحت تصدر عن هذا المكتب تعليمات مختلفة، ومع ذلك فالموظفون السابقون والآلات القديمة لا تزال موجودة. ورغم أن هناك مديرًا جديدًا، يعطي للمصنع اتجاها جديدا؛ فإن هذا المدير الجديد يُحبَط في أهدافه باستمرار من العمال الذين ظلوا فترة طويلة تحت حكم المدير القديم (آدم). هذه هي طبيعة الموقف الذي وُصِف كاختبار حاضر المؤمن في نهاية الأصحاح السابع من رسالة رومية.

في الأعداد 1– 17، يواصل الرسول بولس نفس الفكرة عن حاضر المؤمن واختباره الطبيعي. إن الأصحاحين يتواصلان معا دون أي فاصل. إن التحديد إلى أصحاحات تحديد صناعي، وليس جزءًا مما أراد بولس الرسول أن يكتبه في الأصل؛ فالأصحاح الثامن من رسالة رومية مرتبط مع الأصحاح السابق بكلمة "إذًا"، ويستمر في الكتابة بنفس الأسلوب وبنفس الزمن، ومن الواضح تمامًا أنه يغطي نفس الموضوع.

إن نهاية الأصحاح السابع لا تذكر كل ما يلزم ذكره عن الحياة المسيحية الطبيعية، ولو كان الأمر كذلك؛ لكانت الصورة محبطة فعلا. كنا سنعرف عن الصراع الناشئ عن الخطية في أعضائنا؛ ولكننا كنا سنجهل الأمور الأخرى التي يخبرنا بها بولس الرسول. في الأعداد 1 – 4، يلقي بولس الرسول مزيدًا من الضوء على الاختبار الحاضر للمؤمن، ثم يتقدم إلى الأعداد 5 – 11 ليوضح التناقض بين المؤمن وغير المؤمن، مظهرا الاختلافات الكبيرة بينهما، أما الأعداد 12 – 17 فقد استخدمت في وصف واجبات المؤمن وامتيازاته.

ما يمكن إضافته عن الاختبار الحاضر

في الأعداد1 – 4، يبدأ بولس الرسول في شرح وضعك الحاضر كمؤمن. أن تكون في المسيح يسوع، فهذا معناه أنك لم تعد في حالة دينونة. والكلمة "دينونة" التي يستخدمها هنا تفيد "العقاب بالأشغال الشاقة". لقد أخبرك الرسول بولس في الأصحاحات 1 – 5 بأنك قد تحررت من جرم الخطية، وهو هنا يلخص ما قد غطاه في أصحاحي 6،7، ويذكرك بأنك قد تحررت أيضا من سلطان الخطية. إن السيد المستبد قد فقد سلطانه عليك. المدير القديم لم يعد يسيطر.

من هنا يبدأ الرسول بولس في شرح ما تكون عليه صفات شخص كهذا. إنك لا تسلك في الجسد؛ بل في الروح. لقد حل مدير جديد محل المدير القديم. في الماضي كان الذي يحركك ناموس الخطية والموت الذي فيك، لكنك الآن قد تحررت من ذلك، بواسطة ناموس روح الحياة في المسيح يسوع وهو ناموس في داخلك. المدير الفاسد القديم كان يحرضك على فعل الخطية، والأجرة التي كان يدفعها لك هي الموت، لكنه قد مضى، والمدير الجديد أرسى نظاما من الحرية، وهو يدفع لك أجرة، والأجرة هي الحياة.

إن بولس الرسول لا يتحدث هنا عن خطية في أعضاء الجسد، فقد تحدَّث عن ذلك باستفاضة في الأصحاح السابع، كما أنه لا يتحدث عمن *يعمل* في المصنع؛ لكنه يتحدث عن مَنْ *يُديره*. إنه يتحدث عن مَنْ يجلس في المكتب الرئيسي ويوجِّه رؤساء العمال، ولا يتحدث عن الآلات والمواد التي تُستخدم في العمل، وهو يستخدم كلمة (ناموس) هنا، بنفس معنى المبدأ الداخلي أو الدافع الداخلي.

ويوضح بولس في العدد الثالث أنه لم تكن هناك فرصة لأن يحيا حياة مقدسة في تلك الأيام السابقة لتجديده. إن ناموس الله يمكن أن يعرّفه بما يجب أن يفعله، لكنه لا يعطيه القوة اللازمة لذلك. لكن الله قد غيَّر كل هذا، عندما أرسل ابنه في شبه جسد الخطية. لقد جاء إلى العالم لكي يتعامل مع الخطية تحديدًا، وفي جسد ابن الله، نُفذت العقوبة على الخطية؛ لذلك فكل الذين اتحدوا بالمسيح؛ زال عنهم سلطان الخطية (أصحاح6). لقد باد سلطان المدير القديم إبادة تامة.

لماذا أزال الله سلطان المدير القديم من حياتك؟ وهل لا يوجد فرق في حياتك قبل وبعد زوال هذا السلطان؟ بلى، فهناك تغير سيظل للأبد. إن بر الناموس لابد أنه استُوفي فينا، نحن الذين لا يحكمنا المدير القديم – آدم – لكن المدير الجديد – روح المسيح الذي يسكن فينا.

هذا النص لا يعلّم بأنك يمكن أن تصل إلى الطاعة الكاملة لله في هذه الحياة، وإلا كان يناقض ما جاء في الأصحاح السابع، ومع ذلك فهو يشدِّد على أن المؤمن مختلف. لقد تغيَّر مبدأ حياته بجملته. لقد تقلد المدير الجديد منصبه، وصار كل المصنع يتغيّر باضطراد. لكن وأنت تستوعب هذا الحق الجديد، عليك ألا تنسى ما سبق وتعلمته أنك الآن قد تحررت من سيادة الخطية؛ لكن الخطية لا تزال تسكن فيك؛ لذلك فأنت لست شريرًا كأهل العالم؛ كما أنك لست بارا كما ستكون يوم القيامة، وهذا يمثل مزيجا من التوتر والمجد في حياة المؤمن.

المؤمن وغير المؤمن

يزداد وضوح ما ذكره بولس الرسول في النص السابق، عندما يقارن بين المؤمن وغير المؤمن؛ ففي الأعداد 5 – 11، لا يقارن الرسول بين نوعين مختلفين من المؤمنين، كما يعلّم البعض، ولا يقارن بين شخص يعيش في مستوى روحي أعلى، وآخر يعيش في مستوى روحي أدنى؛ فهذا النص لا يقبل هذا التفسير، لكنه يقارن بين مسيحي حقيقي وآخر تحت اللعنة.

دعونا نعود إلى مثال المصنع الذي ذكرناه. في الحقيقة يوجد هنا مصنعان، إنهما في الظاهر متشابهان، وهما في نفس الشارع، تماما مثلما يوجد اختلاف ظاهر بين المؤمنين وغير المؤمنين، اللذين يعيشون في نفس العالم، ويذهبون إلى نفس المدارس والوظائف والمتاجر. ولكي تدرك الفرق بين المصنعين، عليك أن تذهب إلى المكتب الرئيسي لكل منهما. في أحد المكتبين – يوجد آدم – الأنانية، وفي الآخر يوجد روح الله. كل مدير يدوِّن ملاحظاته ويتجمع العمال، ليعرفوا التعليمات. في مصنع آدم، تجد العمال موافقين بل وميَّالين لما يقرأونه من تعليمات، بينما في المصنع الآخر فهناك توتر، بين ما يُقدَّم من تعليمات وما يحدث بالفعل. لكن بمرور السنين يتغير هذا، ويصبح للمدير الجديد سيطرة عملية أكثر وأكثر. ظاهريا يبدو أن المصنعين متماثلين؛ لكنهما في الحقيقة مختلفان تماما عن بعضهما، ويزداد وضوح هذا الاختلاف مع مرور الوقت.

الناموس المسيطر في حياة الشخص الذي لم تتغير حياته بعد هو الأنانية (عدد5أ)، بينما في حياة الشخص الذي تجدد فالناموس المسيطر هو روح الله (عدد5ب). بعض الناس جسديون، أفكارهم تهتم بأمور الجسد (حسب هامش الترجمة الإنجليزية AV)،

وأجرة سيدهم هي الموت (عدد6أ) والبعض الآخر روحيون, يهتمون بأمور الروح، وأجرة سيدهم هي الحياة والسلام (عدد6ب).

الفكر الجسدي هو أن يشغل الشخص فكره بأمور الجسد- وهو في عداوة مع الله. المصنع الأول قائم في مملكة، لكن الأمور التي تعمل هناك لا تسر الملك على الإطلاق. هناك بعض الأمور التي تُعمل تكون متوافقة مع كلمة الملك، مع أنها لا تُعمل لكونها كلمة الملك؛ فبعض الناس غير المتجددين لا يكذبون, وهذا يوافق وصايا الملك، ولكنهم لا يكذبون بسبب كلمة الملك بل هم لا يكذبون لأي سبب آخر. إن كل شيء يُعمل في مصنع آدم يتم بروح الفوضى. إنه مركز التمرد ضد الملك الشرعي. من المستحيل على غير المجدَّدين أن يرضوا الله. ما دام المدير القديم موجودًا, فلن يمكنهم أن يرضوا الملك.

لكن بولس الرسول يُصر على أن هذه ليست السمة المميزة للمؤمن الحقيقي، فالذي يحكم المصنع الثاني هو الروح، الذي أرسله الملك نفسه. كل من لا يقوده الروح, لا يكون مؤمنا على الإطلاق, "لأنه إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له".

كل شخص يحيا على الأرض لابد أن يكون تحت سيطرة أحد المديرين؛ فالناموس الثابت في قلبه يكون إما الأنانية أو التقوى، فإذا لم تكن التقوى هي ناموس قلبك, فأنت لست مسيحيا. كل مؤمن له نفس السيد, وعقله مثبَّت على نفس الهدف العظيم للتقوى. لاشك, أن الروح يسيطر على البعض بصورة أكثر من البعض الآخر, لأنه هناك نمو في النعمة، لكن الصفات التي أشرنا إليها لابد أن تكون موجودة في كل مؤمن, ولا يمكن أن يشترك فيها غير المؤمنين على الإطلاق.

لكن ما الذي يعنيه العددان 10, 11؟ دعونا نضعهما في صيغة كهذه: المؤمن الحقيقي يحكمه المدير الجديد, ومع ذلك فالأعضاء القديمة تحبط رغباته العميقة. إن له

جسد الموت هذا, الذي اشتكى منه الرسول في الأصحاح السابع. لكن على الرغم من أن الجسد ميت بسبب الخطية, فإن روحه تتذبذب وبها الحياة الجديدة الخالدة, والقوة من المدير الجديد. إن كلا من المؤمن وغير المؤمن يرتكبان خطايا؛ لكن الأمر مختلف مع المؤمن الذي فيه علامات الحياة الروحية، كما يختلف المؤمن عن غير المؤمن في أنه يحزن لو سقط، ويشتاق إلى البر. إن جسده ميت بسبب الخطية, لكن روحه حياة بسبب البر .

ومن ناحية أخرى فلا يجب أن يظل المؤمن في وضع الحزن هذا؛ لأن روح الله في داخله هو نفس الروح الذي أقام المسيح من الأموات. إنه سيعمل في المؤمن ما سبق أن عمله للمسيح. إنه سوف يقيمه من الأموات, سوف يحيي جسده المائت؛ عند ذلك سينتهي حزنه وإحباطه إلى الأبد .

كما يمكن أن نصيغها هكذا: المدير الجديد بصدد أن يفكك كل المصنع. لقد كان يحمل الصورة الأرضية, أما الآن فسوف يحمل الصورة السماوية. المباني القديمة والآلات القديمة سيتم التخلص منها, وسوف يكون هناك بناء غير مصنوع بالأيادي؛ فإنه لن يكون هناك اختلاف بين المؤمن وغير المؤمن أعظم من ذلك الذي سيكون في يوم القيامة عندما تقوم من الأموات، فإنك حينئذ لن تخطئ وللأبد.

واجبات وامتيازات

من الواضح إذًا أن المؤمن الحقيقي لا يمكن أن يحيا مثل الشخص غير المجدَّد. إنه لا يدين بأي ولاء للمدير القديم، فإذا أطاعه, فإنما يظهر بوضوح أنه لا ينتمي إلى المدير *الجديد*، وأنه مازال تحت حكم الموت. هذا هو ما نتعلمه من عددي 12 , 13 أ.

الطريق إلى الحياة هو هذا: أن تميت كل ما يعترض سيطرة روح الله على حياتك. كل ما يقاوم سلطان المدير الجديد ينبغي أن يموت. كل ما يثير الخطية في أعضائك يجب أن يُقطع، ويعرفنا بولس الرسول بصراحة أن هذه العملية المؤلمة ضرورية للحياة، وأن الروح القدس يمكِّن المؤمن من القيام بها. ويبرز بولس الرسول حقيقة أنه لا يمكن لمؤمن حقيقي أن يكون في سلام مع الخطية. إن البرهان على أن لك صفات المؤمن هو أنك في حرب بلا هوادة مع الخطية، وأنك تميت أعمال الجسد، لأن كل من يطع أوامر روح الله, فهو ابن لله (عدد14).

إذًا, فعلامة البنوية لله, هي أن يتعهد الشخص بإبادة كل ما يعوقه من أن يكون شخصًا مقدسًا، وهذا يظهره كابن وليس كمصنع؛ وهنا يُبطل التشبيه السابق. إن المؤمن يُثبت بنويته لله عن طريق إصراره الدائم والثابت على أن يكون مقدسا مثل أبيه.

إن العلاقة التي يتمتع بها المؤمن مع الله, ليست هي علاقة الخادم بسيده- وهذه الحقيقة تبطل التشبيهات الأخرى التي استخدمناها. إنها العلاقة بين الابن وأبيه. إنها ليست علاقة خوف ولكنها علاقة الألفة العائلية؛ فالمؤمن يتحدث تلقائيا وطبيعيا إلى الله كأب, وهذا بسبب عمل روح الله في داخله. هذا هو الاختبار العادي, لكل مؤمن. إنه امتياز يتمتع به كل الذين أماتوا أعمال الجسد, كل الذين يطيعون الروح. كل الذين يضعون أنفسهم للإماتة والطاعة العملية يتوقعون أن يتزايد لديهم الوعي الداخلي بأنهم أولاد الله.

وإذا كانوا أولادًا, فهم ورثة, لهم نصيب في كل ثروات أبيهم. إن المؤمنين أبعد من أن يكونوا مصانع أو خدم. إنهم ورثة لله, ووارثون مع المسيح. غير أن اتحادهم بالمسيح لا يعني أنهم يهربون من الألم. كيف يهربون؟ إذا كان العالم يكره سيدهم

فسوف يكرههم أيضًا. لكن المسيح الآن في المجد, وهم سوف يتَّحدون به هناك أيضًا. إن رجاء القيامة الذي ذكره بولس الرسول قبلا هو رجاء أكيد.

اقرأ رومية 8 : 18 – 39

الآلام الحاضرة – مقدمة للمجد

إن اختبارنا الحاضر كمسيحيين هو اختبار الألم. لقد عاش ربنا يسوع المسيح حياة الألم, عندما كان على الأرض، ونحن مرتبطون به. لكن الألم لن يستمر إلى الأبد؛ فالمسيح الآن في المجد, وفي المستقبل سوف نتمجد معا معه. إن كلا من الألم والمجد أمران مؤكدان. إن آلامنا الحاضرة تشبه رواق قبيح, يؤدي إلى باب قصر مجده يفوق الوصف.

إن عدد18 يقرر هذه الحقيقة، أما باقي الأصحاح فيتوسع في شرحها. ويستعير بولس الرسول كلمة "أحسب"من علم المحاسبة، فالمحاسب يضيف البنود والأرقام في عامودين مختلفين, ثم يحسب مجموع كل منهما, ويقارن بين المجموعين. إن المجموع الكلي في العمود الذي عنوانه "آلام الزمان الحاضر"، لا يمكن أن يقارن بالعمود الآخر الذي عنوانه "المجد العتيد أن يستعلن فينا". إن أحد العمودين يفوق الآخر بما لا يقاس. الآلام الحاضرة يمكن أن تبدو عظيمة جدا، وآلام بولس الرسول كانت أعظم من آلام كثيرين (انظر2كو11: 23- 28)؛ لكن أمجاد المستقبل أعظم بما لا يقاس.